الحلقة الحادية عشرة

لماذا كان شهر رمضان شهر الصوم

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

وبعد : فلماذا نؤدي فريضة الصوم في شهر رمضان دون سواه من الشهور ؟ ولماذا كان هذا الشهر بالذات وقتا للصوم ؟ وللإجابة عن ذلك نقول: إنه مما لا شك فيه أن هذا الشهر وجدت فيه خصائص لم توجد في غيره من الشهور الأخرى ، وأن هناك مؤهلات رشحته ليكون دون غيره محلا للصوم ، ومن الضروري أنه قد امتاز بشيء ذي شأن كبير ولهذا كان خليقا بأن يكون أولى من غيره بأداء فريضة الصيام فيه ، والواقع يؤكد ويقرر ، والحقيقة تؤكد كذلك ، بأن شهر رمضان قد اختير لأداء عبادة الصيام فيه ، وأن أيامه الغراء كانت وعاءا لهذه العبادة ، لأنه هو الشهر الذي اكرم الله فيه الإنسانية بنزول القرآن الكريم فيه ، وصدق رب العزة تبارك وتعالى حيث قال :

﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر﴾

وأول باقة في القران الكريم نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في هذا الشهر حين كان الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بغار حراء ليعبد ربه هناك على دين إبراهيم عليه السلام - وعندما هو في خلوته تلك ، جاء جبريل عليه السلام - وقرأ عليه قول الله عز ووجل :

﴿ اقرأ بسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (العلق : ١ - ٥) .

تلك هي بداية نزول الوحي الإلهي ، وكان هذا النزول أول الغيث ، ثم تتابع بعد ذلك نزول القران على الرسول ، كما أن القرآن نزل كله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر التي هي جزء من شهر رمضان، والقرآن الكريم مصدر الهداية الإنسانية ، وهو المصباح المنير الذي بدد غياهب الكفر وظلام الشرك ، وهو النور والشفاء ، وفيه الخير كله والسعادة كلها ، وهو البعث الجديد ومبدأ الحياة الجديدة للنوع البشرى ، إذ أنه جاء بعقيدة التوحيد الصافية صفاء الماء ، ووجه الإنسانية إلى المعرفة بالله ، بعد أن كانت تتخبط في دياجير عبادة الأوثان وغيرها من المخلوقات ، وبين لها سبيل النجاة والنجاح ، وأرشدها إلى طريق المعرفة بربها الخالق العظيم المعبود بحق ، والقرآن الكريم زاخر بالآيات البينات ، التي تقرر وحدة الخالق العظيم ، وتفرده بالألوهية دون سواه ، وتقيم الأدلة الساطعة على أن كل مخلوق في هذا الكون من صنع الله ، وأن كل ما يجرى في السماء أو في الأرض ، أو في الجو أو في البحر، بإرادة الله ومشيئته ، وأن النعم منه والفضل كله يرجع إليه ، وأنه المالك والمعز والمذل والمحيى والمميت والمانح والمانع ، والمحاسب والمجازى ، ولنعش في رحاب بعض الآيات التي جاءت في القرآن المعجزة ، والتي ترشدنا إلى بالغ قدرة الله ، واتصافه بالوحدانية والألوهية الحقة ، وإلى أنه المستحق للعبادة دون غيره ، وصدق رب العزة حيث قال :

﴿ قل اللهم مالك الملك ، تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، بيدك الخير إنك على كل شئ قدير ، تولج الليل فى النهار وتولج النهار في الليل، وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي ، وترزق من تشاء بغير حساب ﴾

(آل عمران : ٢٦ - ٢٧).

وحيث قال ﴿وإلهكم إله واحد ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾

(البقرة : ١٦٣).

وحيث قال : ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء ، فاعبدوه ، وهو على كل شيء وكيل ﴾ (الأنعام : ١٠٢).

وحيث قال : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ (الأنبياء : ٢٢).

وحيث قال : ﴿ ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ، إذاً لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ﴾ (المؤمنون : ٩١).

وحيث قال : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون، الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناءا وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله أندادا وانتم تعلمون ﴾ (البقرة : ٢١ -٢٢)

وحيث قال :﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد﴾ (الإخلاص : ١-٤) .

هذا هو القران الكريم جاء بهذه الآيات التي مر ذكرها ، وهناك آيات كثيرة سوى ذلك مبثوثة في كتاب الله تعالى ، وهذه الآيات وغيرها تدل على الله وقدرته وعظمته ، ووحدانيته ، وتبين بما لا يدع مجالا للشك العقيدة السليمة وتوضحها ، وترسم للإنسانية طريق فلاحها وسبيل سعادتها ، وتأخذ بيدها إلى المعرفة الحقيقية بالله تعالى وخالق الكون كله ، والصانع العظيم الذي أتقن ما صنع: ﴿ صنع الله الذي أتقن كل شئ ﴾.

إن كتاب الله تعالى لثروة كبيرة لأمة الإسلام ، وذخيرة عظمى لأتباع هذا الدين العظيم ، وهو المعجزة الدائمة المحفوظة بحفظ الله :

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (الحجر : ٩) .

إنه القرآن الكريم الذي نزل به الروح الأمين جبريل - عليه السلام - على قلب حبيب رب العالمين ، بلسان عربي مبين بلغ القمة في فصاحته ، والذروة في إعجازه وبلاغته : ﴿ نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين ﴾ (الشعراء : ٩٣ - ٩٥)

إنه كما قال ربنا عنه :﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ (يونس : ٥٧ -٥٨).

أيها الإخوة والأخوات : إن شهر رمضان المبارك شرف بنزول القرآن الكريم فيه ، وكان مطلع الصبح الصادق في ليل الإنسان الحالك وهذا مما يؤهله لأن يكون شهر الصوم ، وأن يقترن به كما يقترن الصبح الصادق بالصوم كل يوم، وكان هذا الشهر أفضل شهور الله ، بما خصه ربنا من يمن وسعادة وبركة ورحمة وبما بينه وبين القلوب الإنسانية السليمة من صلة خفية روحية ، وذلك بصيام نهاره وقيام ليله ، ثم إن بين الصوم والقرآن الكريم صلة عميقة ورابطة متينة ، وبهذه الصلة بينهما تكون الرحمات الإلهية والنفحات الربانية ، ولذا كان الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - يكثر من قراءة القران في شهر رمضان ، ومن هنا يقول ابن عباس - رضى الله عنه - ، كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فلرسول الله - صلى الله عليه وسلم- حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة. (البخاري) .

وعلى ضوء ما تقدم ، فشهر رمضان قد اختاره الله للصوم فيه دون غيره من الشهور لنزول القران الكريم فيه ، وعلاوة على ذلك فله مزايا أخرى ذات أهمية كبرى ، ففيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، وفيه ما فيه من أحداث ومناسبات ، وخيرات ونفحات .

إنه لشهر عظيم حقا ، وإن أيامه لأيام خير ، وإن لياليه لذات فضل فلننتهز تلكم الأيام المباركة ، والليالي المعظمة ، أيام وليالي شهر رمضان المبارك، ولنعمرها بذكر ربنا ، والصوم الذي يرضى خالقنا ، والعمل الصالح الذي ينفعنا في أخرانا ، ولنكن أمناء مع الله في كل ما أمرنا به أو نهانا عنه ، لنحظى بكرمه الإلهي ، وننال الخير في دنيانا وأخرانا ، والله الموفق .